هدف المحاضرة الأولى:

تمكين الطالب من الاطلاع على تاريخ الجزائر الثقافي قبيل دخول العثمانيين الى الجزائر وكيف كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية.

المحاضرة الأولى

المغرب الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية:

بعد تفكك الدولة الموحدية إلى إمارات ثلاثة الإمارة الحفصية والزيانيةوالمرينية وظهور الخلافات والنزاعات السياسية بين هذه الإمارات انكمشت المظاهر الثقافية وقلت النشاطات العلمية بل انعدم الاجتهاد بالمغرب الإسلامي وضاقت سعة الفقه الإسلامي وقتل النشاط والبحث العلمي يقول ابن خلدون "ومدعي الاجتهاد في هذا العصر مردود علي عقبه، مهجور تقليده " وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة ولكن في المغرب الإسلامي والجزائر خاصة فإنها بريئة من تشعب الجدل الديني في العقائد واختلاف الجماعات والناس على عقيدة هل النسبة والجماعة حسب أصول الأشعري وتعاليمه التي جاء بها ابن تومرت من المشرق إلا ما كان من الإباضية (ابن خلدون ، ص 218)

ولكن الوجه الثقافي الجديد في هذا العصر هو انتشار الطرق الصوفية كالفادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 1166م والشاذلية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي المتوفى 1258م، والنقشيندية المنسوبة إلى الشيخ خواجة بهاء الدين نقشبند المتوفى سنة 1389م وهذه الطرق الثلاثة هي نواة كل طرق المتصوفة المنتشرة في الجزائر والمغرب الإسلامي وغيره، ولكن الجزائر لم تتأثر بالفكر الصوفي إلا في عهد التركي العثماني قصرت عناية الحفصيين في الجزائر بالثقافة والعمران على توسيع قصبة قسنطينة وجامعها الكبير سنة 1413م وتأسيس مسجد ورقلة بالجنوب الجزائري,

وعلى خلاف ما قامت به في تونس لقد واصلت المشوار الفني والثقافي الذي سارت عليه دولة الموحدين، وحتى لا ننسى فالدولة الحفصية ولدت من رحم الدولة الموحدية التي ورثت خطا وفيرا من الحضارة الأندلسية والحركات الثقافية المتبادلة بين الأندلسيين والحفصيين بتونس بالإضافة إلى قرب تونس من مصر وهو ما أدى إلى امتزاج الثقافة المصرية مع الثقافة الأندلسية وما عرفته تونس كذلك من ثقافات سابقة رومانية وقرطاجية فأثار التحضر والتنوع الثقافي تظهر أكثر من شرق المغرب – تونس – أكثر من المغرب الأقصى، وأكيد الجزائر استفادة من هذا التحضر التمدن التي كانت عليه الدولة الحفصية(المشهداني، 2013، ص) 440

انتشر التعليم في العهد الحفصي بفضل الكتاتيب والمساجد التي كانت بمثابة معاهد إسلامية ويكفينا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من أنواع العلوم والمعارف والفنون التي تلقاها هو بنفسه في المساجد وكان يعلمها للتلاميذ ويدرسها لطلبة العلم في مساجد الجزائر وفي بجاية (الشهرستاني، ص 180)

أما حركة التأليف فكانت منتشرة بكثرة في الجزائر وأكثر مؤلف مشهور هو مقدمة ابن خلدون التي كتبها في قلعة بن سلامة بالجنوب الغربي قرب مدينة فرندة (1374م)، وأن كلا من الإمام عبد الرحمان الثعالبي، وأحمد المغراوي، وأحمد بن يونس القسنطيني، وأبي العباس بن إدريس البجائي وحمزة بن محمد البجائي، ومحمد بن أحمد الوانوغي، ومحمد بن عبد القوى البجائي وبنته رقية ومحمد التفاوسي ومنصور بن محمد المتناني وناصر بن أحمد بن مزني وأسرة المشدالي والحسن بن علي المسيلي، كل هؤلاء المثقفين والأدباء والعلماء أنجبتهم الجزائر الحفصية، ومن أهم كتب الفقه المالكي التي كانت تدرس للطلبة في الجزائر وبكامل التراب المغربي كتاب أبو عمر بن الحاجب المعروف بالمختصر الفرعي جلبه إلى المغرب ناصر الدين الزواوي وعلمه لتلاميذه في بجاية ونشروه طلابه في الأمصار المغربية، ولم يكن يومئذ بالجزائر وغيرها من بلاد المغرب من يعرف مختصر خليل حتى جاء به محمد بن الفتوح التلمساني سنة (1402م) فأقبل عليه الناس وتناولوه بالشرح والتدريس مستغنين به عن بقيه الكتب الفقهية الأخرى (مسعود، 1980، ص 58).

وفي الطب اشتهر في الجزائر الطبيب "ابن ندراس" كان ماهرا في علمه وبحثه، عمل طبيبا في قصر الإمارة وفي بجاية وضع أرجورته في الأدوية.

من أهم العلماء كذلك أبو الفضل محمد المشدالي المتوفى في سنة 1460م نسبة إلى مشدالة إحدى قرى بجاية وهي بطن من بطون زواوة، فكان ممن ذاع صيته من العلماء من آل المشدالي بهذا البيت ابو علي ناصر الدين المشدالي، وأبو موسى عمران المشدالي وأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي والد أبو الفضل وعمه محمد بن محمد المشدالي، نشأ أبو الفضل في بيئة ومحيط علم، كان شغوفا بالعلم والحكمة لازم في بجاية عدة شيوخ منهم أبو يعقوب يوسف الريغي في علم الصرف، وأبو بكر التلمساني في فنون اللغة والمنطق، وأبو بكر بن عيسى الونشريسي وعلي يعقوب القيروني في النحو، وعلي موسى الحسناوي في الحساب ونقنه على والده وعمه كذلك، ثم رحل إلى تلمسان وأخد عن علمائها ولازمهم مثل ابن مرزوق الحفيد وأبي القاسم ابن سعيد العقباني وأبي الفضل بن الإمام، و أبي العباس أحمد بن زاغو ولازم كذلك أبو الربيع سليمان البوزيدي،ثم ارتحل إلى بونة، وأعجب به الإمام السخاوي .(قيبوج، 2019، ص 31)

من العلماء كذلك أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي المتوفى (1470م) من أئمة وعلماء الجزائر وصلحائها ، ينتهي نسبه الجعفري إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عم رسول الله ﷺ هو من أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل، رحل إلى بجاية ولازم حضور علماءها أمثال أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي،وأبو الربيع سليمان بن الحسن وأبو الحسن علي الليلياتي،والإمام أبو العباس أحمدالنقاوسي، وأبو القاسم المشدالي، وأجازه ابن مرزوق الحفيد التلمساني وتخرج على يده أعلام منهم حجة علماء الكلام الإمام محمد بن يوسف السنوسي، وأخوه الإمام أبو الحسن علي الشالوتي، والشيخ أحمد رزوق ومحمد المغيلي التلمساني وسيدي أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري وابن مرزوق الكفيف...، ولي الخطابة في الجامع الأعظم بالجزائر ترك ما يزيد على تسعين 90 مؤلفا بين متون وشروح وحواشي وتعاليق وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ، منها كتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وكتاب "روضة الأنوار

ونزهة الأخيار" في الفقه وكتاب "جامع الهمم في أخبار الأمم" وكتاب "جامع الأمهات في أحكام العبادات" توفي سنة 1471م.(سعد الله، 1998، ص 213)

ومن العلماء كذلك العالم المتفنن الشيخ أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى الحميري القسنطيني تتلمذ على محمد بن عيسى الزيلدوي،وأبي القاسم البرزاليوابن غلام الله القسنطيني، وأخذ على عبد الله بن مرزوق الحفيد والإمام ابن حجر والعز بن عبد السلام المقدسي.(قيبوج، 2019، ص 32)

ومن العلماء كذلك العلامة الفقيه الضليع البارع الإمام أبو زكريا يحي بن أبي عمران المغيليالمازوني، أخذ العلم عن أبيه وعن بن مرزوق الحفيد والإمام قاسم العقباني ومحمد بن العباس وله تأليف (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) ومن هذا الكتاب استمد الونشريسي كتابه (المعيار المغرب) وتوفي سنة 1478م.

وقد امتلكت الدولة الحفصية مكتبة لم يشهد لها مثيلا في ذلك الوقت حوت 350 ألف مجلد.

ومن العلماء المشهورين في العهد الحفصي كذلك يحيى بن عبد المعطي الزواوي الجزائري توفى 1231م تفقه على المذهب المالكي على يد الشيخ أبي موسى الجزولي، نظم ألفية في النحو المشهورة باسم (الذرة الألفية) وهي التي أشار إليها ابن مالك النحوي في ألفيته، وعندما استولت الدولة المرينية على بعض أقاليم الجزائر من الدولة الحفصية، فأنشأ أبو الحسن المريني (1347) المسجد الجامع المتصل بصريح الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي في تلمسان، وأنشأ مدرسته مجاورة للمسجد وكلاهما آية في الفن المعماري والزخرفة والنقش أما الضريح فهو من آثار الدولة الموحدية، وشيد البرج الأحمر وبرج المرسى بوهران، وكذلك الجامع بمستغانم والمسجد (1340م). ويذكر أن جناحا من الجامع الأعظم في الجزائر من زيادات الحسن المريني.(سعد الله، 1998، ص 215)